مجلة عيون المسائل
Oyunul-Mesail Journal
العدد 8 مجلد 1 – 2025 / 12 /30
https://doi.org/10.5281/zenodo.18108114

السياق القرآني في سورة الأنعام دراسة تحليلية في ضوء تفسير(التحرير و التنوير، الميزان في تفسير القرآن، في ظلال القرآن، أضواء البيان)

The Qur'anic context in Surat Al-An'am: An analytical study in light of the interpretation of (Al-Tahrir and Al-Tanwir, Al-Mizan in the interpretation of the Qur'an, In the Shade of the Qur'an, Adwa' Al-Bayan)

تحرير عبدالله صباح
كلية الإلهيات، جامعة كارابوك، تركيا
tahreeralsaud@gmail.com

للاستشهاد بالبحث:
تحرير عبدالله صباح، "السياق القرآني في سورة الأنعام دراسة تحليلية في ضوء تفسير(التحرير و التنوير، الميزان في تفسير القرآن، في ظلال القرآن، أضواء البيان)"، *مجلة عيون المسائل للدراسات الإسلامية* 1/8 (2025)، 82–101.

ملخص

تُعدّ سورة الأنعام من السور المكية الكبرى، إذ نزلت كما روى ابن عباس بمكة جملةً واحدة في موكب من الملائكة يعظّمونها، لما تحمله من أصول العقيدة وأسس التوحيد (الطبري، 1988). والسياق القرآني في هذه السورة يقوم على بناء عقدي متكامل يرمي إلى تحرير الفكر الإنساني من سلطان الوهم والشرك، وإعادته إلى الإقرار بوحدانية الله في الخلق والتدبير والتشريع. وتكمن أهمية الموضوع إلى إعجاز القرآن وتماسكه من أوله إلى آخره . وبالأخص في سورة الأنعام التي تناولت غرض العقيدة من بدايتها حتى نهايتها كالجسد المترابط لا ينفك عن شيء.وكل ما يتعلق بالعقيدة من إثبات يوم البعث والجزاء. إظهار السياق المتكامل من أول السورة ؛ و إبراز اللمسات التي ذكرت في آيات الأحكام و ذكر قصص الأنبياء التي يلائم موضوع السورة ألا هو إثبات العقائد و التوحيد. و انتهجت في سبيل تحقيق ذلك المنهج الوصفي التحليلي مع وضع خطة بحث تضمنت الجانب النظري و التحليلي و كذلك تم التوصل الى عدة نتائج منها ترابط سياق بداية سورة الأنعام مع السورة التي سبقتها و كذلك خُتمت بسياق السورة التي بعدها و بهذا نجد سياق القرآن مترابط من أول سورة حتى آخر سورة فيه . كما يبرز الجانب الاجتماعي من خلال معالجة الانحراف السلوكي و التشريعي للمشركين و غيرها من الجوانب الاخرى و بهذا يتكامل السياق القرآني في سورة الأنعام بين العقيدة و التاريخ و التشريع في وحدة موضوعية متكاملة و مترابطة

الكلمات المفتاحية: السياق القرآني، التفاسير القرآنية، سورة الأنعام.

Abstarct

Surat Al-An'am is one of the major Meccan surahs. It was revealed—as narrated by Ibn Abbas—in Mecca all at once, accompanied by a procession of angels who venerated it, for the fundamentals of faith and the foundations of monotheism it contains (Al-Tabari, 1988). The Quranic context in this surah is based on a comprehensive doctrinal structure that aims to liberate human thought from the grip of illusion and polytheism, and return it to the recognition of the Oneness of God in creation, management, and legislation. The importance of the subject lies in the miraculous nature of the Quran and its cohesion from beginning to end. This is especially true in Surat Al-An'am, which addresses the purpose of faith from beginning to end, like an interconnected body that is inseparable from anything. Everything related to faith, from

affirming the Day of Resurrection and recompense, is revealed. The comprehensive context is revealed from the beginning of the surah, highlighting the touches mentioned in the verses of rulings and mentioning the stories of the prophets, which are appropriate to the surah's theme, namely affirming faith and monotheism. To achieve this, I adopted the descriptive and analytical approach, with a research plan that included the theoretical and analytical aspects. Several results were also reached, including the coherence of the context of the beginning of Surat Al-An'am with the surah that preceded it, and also its conclusion with the context of the surah that follows it. Thus, we find the context of the Qur'an interconnected from the first surah to the last surah. The social aspect is also highlighted through addressing the behavioral and legislative deviation of the polytheists and other aspects. Thus, the Qur'anic context in Surat Al-An'am is integrated between belief, history, and legislation in an integrated and interconnected thematic unit.
Keywords: Quranic context, Quranic interpretations, Surat Al-An'am

المقدمة

سياق القرآن الكريم هو جميع الدلائل اللفظية والفعلية التي يُفهم من خلالها معنى النص و دلالته ويُحدَّد معناه المقصود. يشمل السياق عوامل داخلية للنص، كالعلاقة بين الآيات والسور، وعوامل خارجية، كسبب النزول، والمنزَل عليهم، والجو العام الذي نزل فيه النص. يعتمد المفسرون عليه في بيان معاني الألفاظ، وتوضيح العموميات، وترجيح الاحتمالات. يتميز القرآن الكريم بترابطه المستمر وعدم انقسامه، مما يجعله سياقًا واحدًا مترابطًا.

و قد تم تقسيم البحث الموسوم بـ " السياق في سورة الأنعام" إلى مبحثين وهما: المبحث الأول تناول تعريف السياق في اللغة والاصطلاح، وكذلك أهمية ،وأغراض، و خصائص السياق ، وأيضاً بينت السياق القرآني وماهي أقسامه.

كذلك بيّن المبحث الثاني "التحليل النصي لسورة الأنعام" ، وقد ذكرت فيه السياقات الواردة في سورة الأنعام وقسمته إلى مطالب منها: سياق الحمد والثناء والخلق وقد تناول موضوع العقيدة بشكل واضح. كذلك المطلب الثاني فقد تناول موضوع النبوة والرسالة بعد ما تم توضيح العقيدة وقد ذكرت فيه الحكمة من إرسال الرسل وذكرهم في سورة الأنعام .أما المطلب الثالث فقد وضح سياق البعث والجزاء. والمطلب الرابع أشرت فيه إلى سياق تكذيب المشركين للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) في نبوته. وختمت البحث بخاتمة تضمنت النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال ما كتبه عن السورة. فقد اتضح لي أنّ سورة الأنعام متماسكة بموضوع واحد من أولها إلى آخرها .

فقد تناولت بعض المصادر والمراجع التي قوّمت البحث نحو السداد كالمعاجم اللغوية، وكتب علوم القرآن واللسانيات و كتب التفاسير.

1– مفهوم السياق و أهميته و خصائصه

1–1 السياق في اللغة والاصطلاح

1–1–1 السياق في اللغة

قال ابن عباد: فأمّا السِّيَاقُ: ففي الموْت. ويُقال: أسَقْتُه إبلاً: أي مَلَّكْتُه إبلاً يَسُوْقُها.[1]

أيضاً قال الفيروز آبادي: وساقَ الماشِيَةَ سَوْقاً وسِياقَةً ومَساقاً، واسْتاقَها، فهو سائقٌ وسَوَّاقٌ، والمريضُ سَوْقاً وسِياقاً: شَرَعَ في نَزْعِ الرُّوحِ ،وتَساوَقَتِ الإبِلُ: تَتَابَعَتْ وتَقاوَدَتْ، و الغَنَمُ: تَزَاحَمَتْ في السَّيْرِ.[2]

كذلك أشار ابن منظور: السَّوق معروف ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً وسَوَّاق يَسُوق بهن أي حادٍ يَحْدُو الإبلَ فهو يسُوقهن بحُدائِه وسَوَّاق الإبل يَقْدُمُها وقد انْساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت وكذلك تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة تَساوَقُ أي ما تتابَعُ والمساوَقة المتابعة كأنّ

[1] –الصاحب ، إسماعيل بن عباد،ت385هـ ، المحيط في اللغة،490/1،ت محمد حسين آل ياسين، ط1، عالم الكتب ،بيروت،1994م.

[2] –الفيروز أبادي، مجي الدينبن محمدبن يعقوب، القاموس المحيط، 477/2، دار الفكر، بيروت، 1403.

بعضَها يسوق بعضاً والأصل في تَساوَقُ تتَساوَقَ سِياقاً يَسُوق سُوُقاً أي يَنْزِع نَزْعاً عند الموت يعني الموت، ويقال فلان في السِّياق أي في النَّزْع أي والسِّياق نزع ويقال له السِّياق أيضاً وأَصله سِواق فقلبت الواو ياء لكسرة السين وهما مصدران من ساقَ يَسُوق عن ساقِه الساقُ في اللغة الأمر الشديد وكَشْفُه مَثَلٌ في شدة أَراد بالساق ههنا الغصن من أَغصان الشجرة المعنى لا تَنْقضِي له حُجّة إلا تَعَلَّق بأُخرى تشبيهاً بالحِرْباء وانتقاله من غُصنٍ إلى غصن يدور مع الشمس.[1]

قال الزمخشري: ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً. وساق إليها المهر. والمحتضر يسوق سياقاً وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و " إليك يساق الحديث " وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده[2].

يتضح مما سبق أنّ القاسم المشترك بين هذه المعاني هو التتابع والتناسب والانسجام والسير والنظم، واستعمال سياق التعبير هو استعمال مجازي يعود إلى المعنى الأصلي وهو التتابع.

1-1-2 السياق في الاصطلاح

قال إبراهيم فتحي" السياق بناء نصي كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من
أجزائه، أو تلك الأجزاء التي تسبق، أو تتلوه مباشرة. ودائماً ما يكون السياق مجموعة من
الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي الضوء على معنى وغاية الفقرة بأكملها".[3]

ويُعرف عبد الرحمن بودرع: السياق "إنه إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية ، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغويّة وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفيّة التي يُقدمها النص للقارئ ، ويضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق وكثيراً ما يرد الشبه بين الجمل والعبارات مع بعض الفوارق التي تميز بينها ، ولا نستطيع تفسير تلك الفوارق إلا بالرجوع إلى السياق اللغوي ولَحظ الفوارق الدقيقة التي طرأت بين الجمل.[4]

أيضاً أشار الخولي إلى السياق "بأنه البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو كلمة أو عبارة أو جملة" [5]

أما تمام حسان: فتحدث عن السياق من خلال" ربطه بين الشكل والوظيفة" في كلامه عن المجاورة في السياق أي: دراسة الكلمة باعتبارها نواة الدلالة. و بذلك فرق بين المعنى المعجمي والمعنى الوظيفي.[6]

ويرى هاليدي ورقية حسن بقولهما: السياق هو النص الآخر أو النص المصاحب للنص الظاهر وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية.[7]

---

[1] –ابن منظور، جمال الدين محمدبن مكرمبن علي الإغريقي، لسان العرب، ت711، 166/10،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2005.

[2] –الزمخشري، أبوالقاسم محمودبن عمروبن أحمد جار الله، أساس البلاغة، ت 538، 232/1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.

[3] – إبراهيم ،فتحي، معجم المصطلحات الأدبية،8، طبع التعاضيدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط، 1986.

[4] –بودرع، عبد الرحمن، منهج السياق في فهم النص، 43،بحث منشور في مجلة القلم، العدد 55.

[5] –الخولي، محمد علي، علم اللغة النظري،156، مكتبة لبنان، 1999.

[6] –حسان ، تمام: ينظر مناهج البحث في اللغة، 163

[7] –روبرت ،دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء،91، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.

السياق يشير إلى مفهوم محدد في المعاجم المختصة للسانيات كما قال غريماس وكورنيس: "أن السياق مجموع النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معينة، وتتعلق بها الدلالة حيث يمكن أن يكون السياق صريحاً، أو لسانياً، ويمكن أن يكون ضمنياً، وفي هذه الحالة يتميز بأنه سياق خارج لساني أو مقامي"[1]

حدد جون دي بوا: " السياق بالمحيط أي: الوحدات التي تسبق، أو تلحق وحدة محددة ويسمى بالسياق الشفوي. أو مجموع الشروط الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات القائمة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللساني، وغالباً ما تحدد هذه العلاقات بالسياق الاجتماعي لاستعمال اللغة. ونحدده أيضاً بقولنا (المقام) وهو مجموع المعطيات المشتركة بين المتكلم والمستمع في مقام ثقافي ونفسي لتجارب كل منهم"[2] و يُعرف البعلبكي السياق: "بأنه بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه"[3].

لعلّ أنسب تعريف للسياق هو ما ذكره الشهيد الصدر:" السياق كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من دوالٍ أخرى سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكّل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاماً واحداً مترابطاً، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع"

1-1-3 السياق عند المفسرين

أدرك المفسرون أهمية السياق منذ بداية التأليف في علوم القرآن، واستعانوا به كونه وسيلة مهمة في تحديد المعنى. وكذلك وضعوا شروطاً صادقة لمن أراد أن ينتظم في هذا العِلم الجليل (تفسير القرآن الكريم) وأكثر هذه الشروط يصب في السياق والمقام وما يحيط بالنصّ القرآني من ظروف وملابسات. فلابدّ للمفسر من الوعي بها قبل مباشرته تفسير النص القرآني الكريم فزيادة على اشتراطهم التمكن من دقائق العربية، وأحكامها الصوتية والبنائية والتركيبية والدلالية، معرفة أوجه الإعجاز القرآني على مستوى النظم واللفظ، والدلالة، و ما تجري عليه لغة القرآن الكريم من إيجاز، وتشبيه، واستعارة، وتلاؤم الحروف، والكلمات، والفواصل، والمقاطع في الآيات، وتجانس الصيغ، والألفاظ، وتعريف القصص، والأحوال، وتضمين الحكم والأسرار المبالغة في الأمر، والنهي وحسن بيان المقاصد والأغراض، وتمهيد المصالح، والأسباب، والإخبار عما كان، وعما يكون. وغير ذلك مما يدخل في السياق اللغوي وما يتطلبه من استحضار النص القرآني جميعه عند تفسير بعضه؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً.[4] كما قال الزركشي نقلا عن ابن العربي: "ارتباط آي القرآن حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني، منتظمة المباني"[5]

إذن اشترط القدامى الوعي بالسياق اللغوي وأحكامه و وجوهه واشترطوا عدة شروط تؤكد على وعيهم بالسياق بأنواعه المختلفة. ويلحظ مما سبق ذكره بأن علمائنا القدامى أكدوا على أن لكل موقف و مقتضى حال تركيباً يتلائم معه. قال الجرجاني: "فلا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضه ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا مالا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحدٍ من الناس.[6]

السياق عند السيد الطباطبائي: الاستفادة من سياق الآيات القرآنية بحيث يظهر ذلك الارتباط الحاصل بين الألفاظ، أو العبارات، أو الجمل الناتج بسبب الإقتران الواقع بينهما نظراً لتميزه في إظهار الحقائق والمعارف القرآنية حيث اعتمد في مناقشته لكثير من الأقوال على سياق الآيات، وقد لازمته الفكرة السياقية في تفسيره، فكانت سمة مميزة له، وهذا يتضح من خلال تعامل الطباطبائي مع النصوص والروايات التي حفل بها في تفسيره،

---

[1] –غريماس، وكورنيس، معجم السيمائيات،33، ط1.

[2] – جون، دي بوا، قاموس اللسانيات، 78، ترجمة: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس.

[3] –البعلبكي، رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، 119، دار العلم للملايين، بيروت.

[4] نمر،هادي، ينظر علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي،269،ط1، دار الأمل، الأردن.

[5] الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله، لبرهان في علوم القرآن،ت794، 36/1 ،ت:محمد أبو الفضل إبراهيم،ط 1،دار إحياء الكتب العربية، بيروت،1957.

[6] نمر هادي: ينظر علم الدلالة التطبيقي،61

حيث نجد بأنه يحدد معاني الآيات، وأين نزلت في مكة، أو في المدينة من خلال السياق. فأن الطباطبائي لم يبتعد عن ظروف الآية الزمنية وعلاقتها بما بعدها من الآيات. كما استعان بالسياق لتعين معاني بعض الألفاظ الواردة في القرآن الكريم ما يجعل الفرادة في استفادة المعنى الحقيقي للآية من خلال السياق سواء من خلال الارتباط الحاصل بين الألفاظ، أو العبارات، أو الجمل... كما نرى أيضاً أن الطباطبائي لم يرد أن يغرق تفسيره في السياقات المختلفة التي تفنن العلماء فيها في شتى العلوم. وإنما أراد أن يفسر القرآن بالقرآن على النحو الذي يستطيع معه أن يبين المعاني والحقائق القرآنية. وقد وفق في ذلك نظراً للبراعة والمعرفة التي تميز بها في الاستفادة من السياق.[1]

أما عند سيد قطب فقد سلك هذا المسلك في تفسيره وجعل يقدم منهجه بين يدي كل سورة بوحدتها الموضوعية وسياقها العام، فكل سورة لها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات مشدودة إلى محور خاص... وهذا طابع عام في سور القرآن جميعاً، ولا يشذ من هذه القاعدة طوال السور[2]

1-1-4 أهمية السياق

تتضح أهمية السياق بنحوٍ عام في كل الدراسات القرآنية، واللغوية، والدلالية قديماً وحديثاً باعتبار السياق (منهج عام) اعتمد عليه المفسرين في تفسيرهم لكتاب الله جل شأنه. كما بينه الشاطبي:" المسافات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل ... فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما أقتضاه الحال فيها، لا يُنظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن شملت على جُمل، فبعضها متعلق بالبعض؛ لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرَّق النظر في أجزائه، فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض" [3]

قال الزركشي: إن دلالة السياق ترشد الى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته.[4]

ولذا نريد التركيز على الخصوصية الموجودة في القرآن الكريم التي تجعل التعامل معه بحذرٍ بالغٍ ودقةٍ عالية فتتضاعف أهميته لأنّ:

1- السياق من تفسير القرآن بالقرآن: السياق مرتبط حقيقة بالقرآن نفسه من حيث إنه تفسير للقرآن بالقرآن بل هو أعلى درجات لأنه كلام الله سبحانه وتعالى، وفيه انعكاس لقدرته وحكمته وهو كلام معصوم عن الزلل والتأثر بالظروف المتغيّرة القهريّة، فمن الطبيعي أن يكون بسياقه علم جمّ.

2- السياق أصل معتبر ظاهر في تفسير النبي {صلى الله عليه واله وسلم} والسلف. وقد تجلى ذلك في إنكارهم على من فهم الآية على غير السياق والغرض الذي نزلت من أجله

3- السياق أصل معتبر في التفسير عند العلماء باعتبار السياق أساساً في فهم الكلام و أصلاً يحتكم إليه كما قال الزركشي: دلالة السياق أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئاً أنكره.[5]

---

[1] عارف، هنديجاني فرد، دلالة السياق في تفسير الطباطبائي، 129-138، المرجع الألكتروني للمعلوماتية، 2020/11/10.

[2] سيد قطب، أبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القرآن، ت 1،27/1966، دار الشروق، 1978.

[3] -الشاطبي، إبراهيمبن موسى، الموافقات، ت790هـ،112، تقديم: بكربن عبدالله‌بن زيد، دار ابن‌عفان.

[4] - الزركشي،البرهان في علوم القرآن ، 2 / 200

[5] -الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله، البحر المحيط في أصول الفقه، 357/4 ،ط1،دار الكتبي،1994م.

4- السياق القرآني هو المعتبر في حل الخلاف والإشكال بل من أعظم القرائن في الترجيح وحل المشكلات، لأن القرآن تنقسم آياته إلى محكم بيّن وإلى متشابه له محتملات وتفتقر إلى إرجاعها إلى المحكمات وإلا يُعد التمسك بظاهرها تمسكاً بالغي وابتغاء الفتنة. وهذا يعزز دور ووظيفة السياق لا محالة.[1]

1-1-5 خصائص السياق

قبل البدء في هذه الخصائص التي ذكرها المختصون لقد رأيت بأن هذه التسمية ليست مناسبة كان الأولى أن تسمى (أدوات أو عناصر السياق) حددها براون وبول في:

1- الباث: {المتكلم} الذي يحدث القول.

2-المتلقي: {المخاطب} الذي يتلقى ويستقبل القول

3- المستمعين: إذ يسهم دورهم في تحديد معنى الحديث الكلامي

4-الموضوع: {الرسالة} أو محور الحديث

5- الظرف: يعني السياق الزمني والمكاني للحدث

6- الوضع الجسمي للأطراف المشاركة: أي: لغة الجسد للمتفاعلين كتعابير الوجه، والاشارات، والإيماءات.

7- القناة: أي: الكيفية التي تم التواصل بها بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي لفظاً، كتابة، إشارة.

8- الشفرة المستعملة: وهي اللغة، أو اللهجة، أو الأسلوب المستعمل.

9- صيغة الرسالة: ويعني الشكل المقصود للخطاب خطبة، مناظرة.

10- الحدث: طبيعة الحدث التواصلي الذي يمكن أن نضمن داخله نمطاً خطابياً معيناً.

11- الطابع: هو الذي يتضمن تقييم الكلام

12- الغرض: هو ما كانت تنوي الأطراف المشاركة التوصل إليه كنتيجة للحدث الكلامي.[2]

1-1-6 أغراض السياق

لقد تبين من خلال التعريف ماهو دور ومحورية السياق في فهم دلالة الكلام، ويمكن تلخيص ذلك الغرض الأساسي من السياق من خلال النقاط التالية:

أ- الوصول إلى المراد الحقيقي للكلام، وذلك لأن المتكلم عندما يُبرز القرائن في حديثه فهو يلقي نوعاً من الإشارة والعلامة إلى ما يقصد، فتحسب على أنّها جزءٌ متمم لكلامه، وأشبه بلغة وقناة تفهيمية خاصة يستعان بها عرفاً في التوضيح، وكأن أجزاء الكلام وترابطها وتناسقها تعضد بعضها بعضاً في إحكام المعنى.

ب- اقتناص الكثير من محاسن الكلام و دقائقه ولطائفه التي تختبئ وراء الارتباطات المصاغة بطريقة متناسبة و مقصودة . فمن الطبيعي أن تدقيقنا في نسق حديثه -القرآن- وترتيب أجزائه واختيار صيغه وهيئاته يكسبنا الكثير من النكات والمعاني.

---

[1]- عبد الرؤوف ،حسن الربيع: ينظر بحث السياق ودوره في تفسير القرآن، مجلة رسالة القلم. العدد54

[2]براون و بول، ينظر تحليل الخطاب، 47-50،ترجمة محمد لطفي الزليطي و منير التريكي، ط1، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، السعودية، 1997.

ج –عدم الوقوع في مطبَّات و محذورات خطيرة نتيجة الفهم المبتور للكلام، فعلى سبيل المثال فهم البعض من هذه الآية الكريمة{الصافات} أن الله سبحانه خالقُ لأعمالنا كما هو خالق لنا؛ فذهبوا إلى فكرة الجبر ونفي الاختيار، وأحد الأسباب وراء هذا الفهم المنحرف أنَّهم بتروا الآية عن سياقها واتصالها بما قبلها.[1]

1–1–7 شروط التمسك لمفسر السياق

اعتبار السياق قاعدة من قواعد التفسير، فلا ريب أن هناك ضوابط وشروط عامة تقنّن وتنظم الاستفادة من السياق بالشكل الصحيح مع مراعاة اجتناب الوقوع الشبهات والانحرافات، لأن أي زلل وخروج عن معاني القرآن و تعاليمه القويمة يعني الابتعاد عن الدين وأحكامه وأصوله، ومن أهم تلك الشروط وأبرزها:

1– العلم والاطمئنان بوجود القرينة و وحدة سياق الكلام ، فمع احتمال التعدد لا يتسنى لنا التمسك بالسياق.

2– الموضوعية والإنصاف في التعامل مع سياق النصوص، فلا نقبله في موضوع ونرفضه في آخر.

3– ألا نحمل السياق خلفياتنا السابقة ونلزمه بها، بل المطلوب منّا أن نلتزم بمؤاده وإن كان على خلاف ما نهوى ونميل فهو الحجة علينا لا العكس.

4– أن نتبع في فهمه الطريقة العرفيّة العامة في المحاورة، وتجنب الذوق الشخصي الشاذ الذي لا ينهض عليه دليل ولا شاهد.

5– لابدّ لمن يستعمل السياق أن يكون مؤهلاً وصاحب صنعة وخبرة في هذا المجال، وكل ذلك مع الاستضاءة بمعادن الحكمة وأوعية العلن ممن نهلوا من معين القرآن وارتشفوا زلاله وكانوا ترجمانه بحق. [2]

1–1–7أنواع السياق في القرآن الكريم

من أعظم دلائل الإعجاز في القرآن أنه بني على سور متفرقة لكنها منتظمة في بناء واحد محكم، وكل سورة منها وحدة متكاملة متناسقة يجمعها غرض واحد يسمى (وحدة السورة) أو سياقها. ووحدة السورة أو سياقها العام هو الذي يطلع القارئ على مضمون السورة كلها، ولو تدبر القارئ وتفحص وتبصر في سورة واحدة لرأى قرآناً عجيباً ذلك بما سيتجلى له من ترابط السورة وقوة بنائها وانتظامها في خيط واحد، وكيف لا يكون ذلك وهو كلام الله تبارك اسمه الذي أتقن كل شيء.[3] قال البقاعي:" إن معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن مترتبة على معرفة الغرض أو الأغراض التي سبقت لها السورة"[4] وحين نرى العناية بهذا العلم العظيم نرى كثيراً من المفسرين أغفلوه ولم يلقوا له بالاً مع أنه من أعظم ما يعين على فهم كتاب الله سبحانه. ونرى أيضاً ابن القيم كان بارعاً في استخراج دقائق القرآن وأسراره.[5]

لقد تفرد القرآن بسياق متكامل متواصل فيما بينه متداخل السياقات وأعجز العرب عن الإتيان بمثله. فالسياق القرآني يكون مؤتلفاً من ثلاثة عناصر أولها: الأغراض، أو المقاصد التي بني عليها النصّ، وثانيها: النظم والأسلوب القرآني المؤتلف من مجموع الكلام والتعبير فيه، وثالثها: الأسباب والأحوال التي نزلت فيها الآية والمخاطبون فيها[6]. ولذلك قُسم القرآن إلى أربعة أقسام:

---

[1] –الربيع عبد الرؤوف حسن: ينظر بحث السياق و دوره في تفسير القرآن، مجلة القلم العدد 54.

[2] – المصدر نفسه.

[3] – محمد، الربيعة، علم السياق القرآني(مفهوم السياق عند العلماء)، 2007/1/18.

[4] –البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 17/1،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

[5] –ابن‌القيم، الجوزية شمس‌الدين محمد الدين الحنبلي، الأمثال في القرآن الكريم، ت756هـ، 57، تحقيق: فواز أحمد، دار ابن‌حزم.

[6] –هادي نهر: ينظر علم الدلالة التطبيقي ،211.

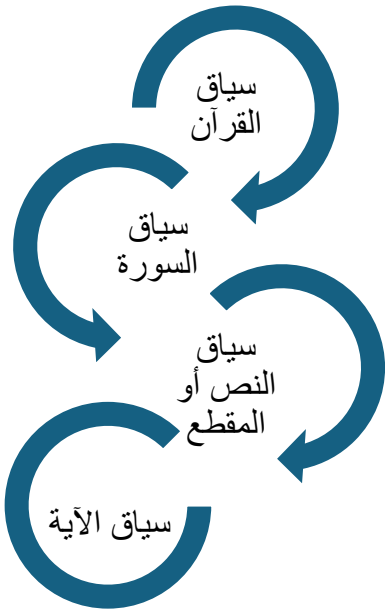

2-1 سياق القرآن

المراد به مقاصد القرآن الأساسية والمعاني الكلية التي تسمى (الكليات في القرآن) والأساليب المطردة في القرآن التي تسمى (عادة القرآن) وقد قسمه العلماء إلى عدة وجوه:

أ – مقاصد القرآن العظمى: القرآن مبني على أغراض ومقاصد أساسية وهذه الأغراض والمقاصد معتبرة في تفسير كلام الله تعالى كله بل يجب الاعتماد عليها في كل سورة، وآية منه حسب ما يقتضي المقام فيها. ومقاصد القرآن ظاهرة فيه، وقد أجملّ ابن عاشور مقاصد القرآن كلها في ثمانية مقاصد:[1]

[1] – ابن‌عاشور، الطاهربن محمدبن محمد التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (االتحرير والتنوير)، 8/1، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984.

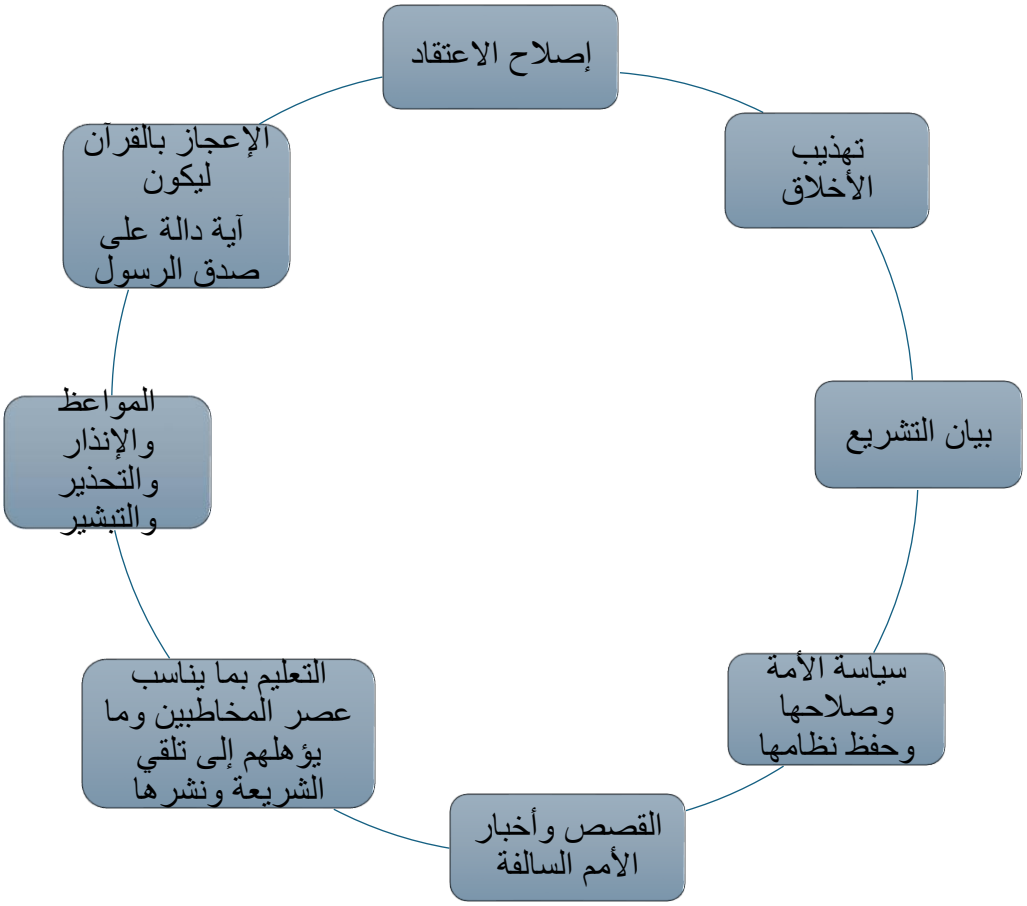

ب – المعاني الكلية: المراد منها هو ما يرد في القرآن من الألفاظ التي يطرد أو يغلب معناها في جميع القرآن، فيستعملها القرآن بمعنى واحد غالباً، وهذا ما يسمى بكليات القرآن.[1]

ت– الأساليب المطردة: ما يستعمله القرآن من الأساليب ويُطرد في القرآن، وهو ما يسمى بعادة القرآن. ومن أمثال ذلك ما ذكره الشنقيطي قال:" كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير يُراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة نحو قوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [الأنعام/164]} [2]

1–3 سياق السورة

1–3–1السورة في اللغة والاصطلاح

قال الخليل: السُّورُ: حائطُ المدينة، ونحوه. وتسوّرتُ الحائط، وسُرْتُه سَوْرا اَلسُّوَرُ: جَمْعُ السُّورة.[3]

أيضاً قال ابن عباد: السورُ حائط المدينة، وجمعه أَسْوارٌ وسيرانٌ. والسورُ أيضاً: جمع سورَةٍ، وهي كلُّ منزِلة من البِناء. ومنه سورَةُ القرآن، لأنَّها منزلةٌ بعد منزلةٍ مقطوعةٍ عن الأخرى. والجمع سُوَرٌ بفتح الواو.[4]

---

[1] –ابن تيمية، تقي الدين أحمد الحراني، مجموع الفتاوي، ت 728هـ، 35/7، دار الوفاءو دار ابن حزم.

[2] –الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ت 1393، 376/3مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

[3] –االخليل، أبوعبد الرحمن بن أحمد بن عمرو تميم، كتاب العين، تحقيق: د.ابراهيم السامرائي، ود. مهدي المخزومي،70/2–71 دار ومكتبة الهلال، بيروت/ لبنان، ط1، 1990.

[4] –الجوهري،أبو نصر إسماعل بن حماد، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية،ت393هـ، ، 339/1،دار العلم للملايين، ط4، 1987م.

ووضح الأزهري بأن السور: سورة كل شيء: حدّه. وسُرْتُ الحائط سؤراً، وتسوّرته: إذا علوته. وأما السُّورة من القرآن أنه من سورة البناء. والسُّورة: عِرقٌ من أعراق الحائط ويجمع سُوَراً، وسورة البناء وسورٌ، فالسُّور جمع سبق وُحدانه في هذا الموضع جمعُهُ قال: والسُّور عند العرب: حائط المدينة وهو أشرف الحيطان، وشبّه الله جل وعز الحائط الذي حجز بين أهل النار وأهل الجنة بأشرف حائط عرفناه في الدنيا، وهو اسم واحد لشيء واحدٌ.

فأما سورة القرآن فإن الله جل وعز جمعها سُوراً؛ مثل غُرفة وغرف، ورتبة ورُتب، وزُلفة وزُلف، فدلَّ على أنه لم يجعلها من سُور البناء، لأنها لو كانت من سور البناء لقال: فاتو بعشر سُورٍ، ولم يقل " بعَشْرِ سُوَر " والقُرَّاء مجمعون على سُور، وكذلك اجتمعوا على قراءة سُورٍ في قولهم: (فضُرِبَ بينهم بسُورٍ) ولم يقرأ بسورٍ فدلَّ ذلك على تميُّز سورة من سور القرآن عن سورة من سور البناء، قال أبو الهيثم: والسُّورة من سور القرآن عندنا: قِطعة من القرآن سبق وُحدانها جمعها كما أن الغُرفة سابق للغُرف. وأنزل الله جل وعز القرآن على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً بعد شيء، وجعله مفصَّلا، وبيَّن كلَّ سُورة منها بخاتمتها و بادئتها، وميّزها من التي تليها.[1]

1-3-2السورة في الاصطلاح

قال أبو شهبة: السورة هي الطائفة المترجمة توقيفاً؛ أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم؛ أو هي : طائفة من آيات القرآن جمعت و ضُم بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول المقدار الذي أراده الله تعالى لها.[2]

1-3-3 سياق النص أو القصة

سياق النص يأتي كجزء ووحدة من جملة السورة، يكون موضوعه واحداً وغرضه واحداً لكنه يتناسب ويتناسق مع وحدة السورة العام. ويظهر النص غالباً في سياق القصص وبعض التشريعات والموضوعات كقصة نبي الله ابراهيم (عليه السلام) في سورة الأنعام، وذكر الوصايا. ولو تدبرت كل سورة لوجدتها تتجزأ إلى عدة مقاطع كل مقطع يتضمن غرضاً مستقلاً. وقد تجلى ذلك في دراستي لسورة الأنعام كل موضوع جاء لغرضٍ وقد اجتمعت كلها في غرض واحد وسياق واحد هو أصول الاعتقاد والربوبية .[3]

1-4 سياق الآية

يهتم هذا النوع بالنظر والبحث في معنى الآية، فاذا اختلف في معنى الآية فإننا ننظر في سياقها حيث يوجد لفظ مشترك لا يتضح معناه إلا من خلال السياق. فكل آية في كتاب الله سبحانه وتعالى تحمل غرضاً مستقلاً، وإلا فما سر هذه الفواصل بين الآيات وقد اتضح لي من خلال دراستي لسورة الأنعام أن كل آية لها غرض قد تشترك فيه مع سابقتها أو لاحقتها لكنها تختص بجانب منه.

1-4-1 السياقات الواردة في سورة الأنعام

سأذكر بعض السياقات الواردة في سورة الأنعام والتي كانت عاملاً أساسياً في تماسك السورة:

سياق الحمد والثناء والتفرد بالخلق

[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) [الأنعام/1-3] {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73) [الأنعام/73]

---

[1] -الأزهري، أبومنصور محمدبن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، 314/4،دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 2001.

[2] أبو شهبة ،محمد بن محمد ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، 285، 2، 1992

[3] _

لقد بدأت سورة الأنعام بتقرير الحقيقة الأولى في كل دين وعلى لسان كل رسول تلك الحقيقة التي تؤمن بها الفطرة السليمة ويدل عليها العالم بأرضه وسمائه. وما فيه من مخلوقات ناطقة وصامتة ظاهرة وخفية؛ وما فيه من تحولات وتقلبات ونور وظلمات؛ وهذه الحقيقة هي ان الاله الذي له (الحمد) المطلق والتنزيه الذي لا يحد هو الله سبحانه، لانه هو الذي (خلق) وهو الذي (جعل) ؛ فالخلق إنشاء وابداع ، والجعل تصريف وتقليب ؛ والعالم اجمع في دائرتيهما ؛ فلا ينفك شيء منه عن كلا هذين المظهرين: (خلق) (جعل) ذلك هو مطلع السورة.

وكل ماجاء في هذه السورة إنما هو بيان وتفصيل ، أو تمثيل وتطبيق على هذه الحقيقة أحياناً بصفة مباشرة، وأحياناً بوسائط تقرب أو تبعد. وقد ساقت السورة عدداً من الأدلة على توحيد الله تعالى، فهي تلفت النظر إلى مظاهر الملك التام، والسلطان القاهر في الخلق، والتصرف الكامل، والعلم المحيط فتقول:{ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ [الأنعام/12] {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الأنعام/13] { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ [الأنعام/59] {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ [الأنعام/60][1]

قال ابن عاشور: {الحمد لله} تفيد استحقاق الله تعالى الحمد وحده دون غيره لأنّها تدلّ على الحصر . واللام لتعريف الجنس، فدلّت على انحصار استحقاق هذا الجنس لله تعالى، فالمعنى هنا أنّ الحمد كُلّه لا يستحقّه إلاّ الله، وهذا قصر إضافي للردّ على المشركين الذين حمدوا الأصنام على ما تخيّلوه من إسدائها إليهم نعماً ونصراً وتفريج كربات، ويجوز أن يكون قصراً حقيقياً على معنى الكمال وأنّ حمد غيره تعالى من المنعمين تسامح لأنّه في الحقيقة واسطة صورية لجريان نعمة الله على يديه ، والمقصود هو هو، وهو الردّ على المشركين ، لأنّ الأصنام لا تستحقّ الحمد الصوري بل الحقيقي. التذكير بعظيم صفة الخلق الذي عمّ السماوات والأرض وما فيهنّ من الجواهر والأعراض والاقتصار في ذكر المخلوقات على هذه الأربعة تعريض بإبطال عقائد كفار العرب فإنّهم بين مشركين وصابئة ومجوس ونصارى ، وكلّهم قد أثبتوا آلهة غير الله؛ فأخبرهم الله تعالى أنّه خالق السماوات والأرض، أي بما فيهم، وخالق الظلمات والنور.[2]

كذلك فسر الطباطبائي: في هذا الثناء الموضوع في الآيات الثلاث إلى جمل ما تعتمد عليه الدعوة الدينية في المعارف الحقيقية التي هي بمنزلة المادة للشريعة، و تنحل إلى نظامات ثلاث: نظام الكون العام و هو الذي تشير إليه الآية الأولى، و نظام الإنسان بحسب وجوده، و هو الذي تشتمل عليه الآية الثانية، و نظام العمل الإنساني و هو الذي تومىء إليه الآية الثالثة. فالمتحصل من مجموع الآيات الثلاث هو الثناء

عليه تعالى بما خلق العالم الكبير الذي يعيش فيه الإنسان، و بما خلق عالما صغيرا هو وجود الإنسان المحدود من حيث ابتدائه بالطين و من حيث انتهائه بالأجل المقضي، و بما علم سر الإنسان و جهره و ما يكسبه.[3]

أيضاً أفاد سيد قطب: : إنها اللمسات الأولى. تبدأ بالحمد لله. ثناء عليه ، وتسبيحاً له ، واعترافاً بأحقيته للحمد والثناء ، على ألوهيته المتجلية في الخلق والإنشاء بذلك تصل بين الألوهية المحمودة وخصيصتها الأولى الخلق. وتبدأ بالخلق في أضخم مجالي الوجود. السماوات والأرض. ثم في أضخم الظواهر الناشئة عن خلق السماوات والأرض وفق تدبير مقصود. الظلمات والنور. فهي اللمسة العريضة التي تشمل الأجرام الضخمة في الكون المنظور، والمسافات الهائلة بين تلك الأجرام، والظواهر الشاملة الناشئة عن دورتها في الأفلاك. لتعجب من قوم يرون صفحة الوجود الضخمة الهائلة الشاملة تنطق بقدرة الخالق العظيم كما تنطق بتدبيره الحكيم، وهم بعد ذلك كله لا يؤمنون ولا يوحدون ولا يحمدون؛ بل يجعلون لله شركاء يعدلونهم

[1] –د.عبد الله ،محمد شحاته: أهداف كل سورة ومقاصدها، 85

[2] –ابن عاشور، ينظر التحرير والتنوير،4/ 354–355

[3] –الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ أياد باقر سلمان،134/7، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2006.

به ويساوونه: { ثم الذين كفروا بربهم يعدلون }. فيا للمفارقة الهائلة بين الدلائل الناطقة في الكون، وآثارها الضائعة في النفس! يا للمفارقة التي تعدل الأجرام الضخمة، والمسافات الشاسعة، والظواهر الشاملة. بل تزيد.

اللمسة الثانية: {هو الذي خلقكم من طين ، ثم قضى أجلاً ، وأجل مسمى عنده ، ثم أنتم تمترون}: إنها لمسة الوجود الإنساني ، التالي في وجوده للوجود الكوني .

اللمسة الثالثة تضم اللمستين الأوليين في إطار واحد؛ وتقرر ألوهية الله في الكون والحياة الإنسانية[1].

لقد تبين لي أن السيد الطباطبائي وسيد قطب قد فسرا الآيات الثلاث الأولى إلى ثلاثة أنظمة هي: نظام الكون العام في الآية الأولى، ونظام الوجود الإنساني في الآية الثانية، ونظام العمل الإنساني في الآية الثالثة والتي تشمل النظامين الاولين بإقرار الألوهية لله الواحد القهار من خلال السياق المتصل فيما بين موضوع الآيات وهذا ما يسمى (سياق النص).

وبهذا تكون الحجة عامة لكل ذي عقل سليم وفطرة صافية وإخلاص في تطلب الحقيقة من دلائلها المبثوثة في آفاق السموات والأرض ولذلك يقول عز شأنه:{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ...}الصافات 51

سياق النبوة وحكمة إرسال الرسل

قال تعالى: {مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [الأنعام/48]

كما تحدثت سورة الأنعام عن الألوهية والربوبية، ولفتت الناس إلى مظاهرها في الخلق والتصرف والتدبير المحكم؛ تحدثت عن حقيقة ثانية تنبئ على الإيمان بهذه الحقيقة الأولى: ذلك من شأن الإله الرب أن يهدي عباده ويرشدهم إلى ما تصلح عليه أمورهم وتقوم عليه سعادتهم في دنياهم واخراهم. ومن رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب لهداية الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور.

وقد عنيت سورة الأنعام بهذه الحقيقة فتحدثت في كثير من آياتها عن الوحي والرسالة من جوانب شتى،.[2] قال تعالى: { وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ [الأنعام/19] وقوله تعالى: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ [الأنعام/114] {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ [الأنعام/50] بعدما أثبت القرآن الوحي والرسالة؛ ثم أثبت نبوة (محمد صلى الله عليه واله) بالدليل القاطع والحجة البالغة. فقد نشأ هذا النبي يتيماً فقيراً أمياً في بيئة مشتركة جاهلة؛ فمن أين له هذا الكتاب المحكم الذي اشتمل على مبادئ الإصلاح العالمي كلها؟ والذي لم يستطع في أزهى عصوره أن يهدم حقيقة من الحقائق التي جاء بها.

إن القرآن قد تحدى العرب ببلاغته وقوة بيانه فعجزوا عن الإتيان بمثله، أو بعشر سور منه، أو بسورة واحدة. وقد تحدى القرآن الزمان بخلوده وصحته، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ [الأنعام/91] قوله تعالى:{ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}الأنعام 19 } يذكر ابن عاشور:انتقال من الاستدلال على ما يليق بالله من الصفات، إلى اثبات صدق رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وإلى جعل الله حكماً بينه وبين مكذبيه ، وقد ابتدأ السياق بأسلوب إلقاء استفهام مستعمل في التقرير، وهذا الأسلوب لإعداد السامعين لتلقي مايرد بعد الاستفهام. والأهم فيما أقسم عليه من اثبات الرسالة —معجزة القرآن–

[1] –سيد قطب: في ظلال القرآن،463/2

[2] –عبدالله، محمد شحاته: أهداف كل سورة ومقاصدها،88

وينطوي ما أبلغهم الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) وما أقامه من الدلائل { وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ} من عطف الخاص على العام ، واقتصر على جعل علّة نزول القرآن للنذارة دون ذكر البشارة لأنّ المخاطبين في حال مكابرتهم التي هي مقام الكلام لا يناسبهم إلا الإنذار فغاية القرآن بالنسبة إلى حالهم هي الإنذار.[1]

كذلك قال الصادقي: إنّ شهادة الوحي راجعة إليه فلا شاهد أكبر وأحق شهادة له منه (قل كفى بالله) ولأنّ الجواب هنا بيّن للمشركين حيث يعتقدون في إلوهيته وربوبيته الكبرى. فالقرآن بنفسه شهيد وبينة من ربه ويتلوه شاهد منه فجعل القرآن المحور الأصيل للشهادة الإلهية على وحيه. قوله تعالى (من بلغ) من بلغ مبلغ الإنذار بعدي وبعدهم من العلماء الربانيين فلا بد للمنذر بالقرآن من بلوغ هو بلوغ العقلية القرآنية تلقياً وتطبيقاً و إلقاءً وذلك مثلث لهندسة الإبلاغ والإنذار بالقرآن.[2]

ثم ينتقل القرآن بسياق متصل عن إرسال الرسل من قبل بقوله تعالى: {] وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) [الأنعام/74] الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آَبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) أُولَئِكَ الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}

قال سيد قطب: إنها جولة جديدة في عالم العقيدة تسلك طريق القصة، وتتخذ من إبراهيم نموذجاً لاهتداء الفطرة حين تقرأ في صفحة الوجود المفتوحة، وتنظر إلى آيات الله الكونية بالعين اليقظة والقلب الواعي والحس المبصر؛ فإذا المشاهد المكررة المألوفة، وكأنها جديدة لم يألفها حس، ولم تقع عليها عين؛ وإذا هي حية موحية تنطق بما لايسمعه الغافلون الذين يمرون عليها مغمضي الأعين، أو مغمضي القلوب. فأن السياق لم يمضِ وراء هذه الحلقة. ذلك لأن القصص في القرآن إنما يرد متناسقاً مع السياق الذي يرد فيه وتذكر منه الحلقة التي تؤدي غرضاً خاصاً فيه. ثم يمضي السياق هنا يعرض سلسلة النبوات والرسالات مستدلاً بها على صدق رسالة (محمد) صلى الله عليه وسلم وأنها ليست بدعاً لينتهي إلى مصير المكذبين، وعاقبة المشركين فيتم الجولة التي بدأها بقصة إبراهيم.[3]

أيضاً فسر ابن عاشور: ذكر الحجج بشاهد من أحوال الأنبياء بذكر مجادلة أول رسول أعلن التوحيد وناظر في إبطال الشرك بالحجّة الدامغة والمناظرة الساطعة، لأنها أعدل حجة في تاريخ الدين إذ كانت مجادلة رسول لأبيه ولقومه، وكانت أكبر حجة على المشركين من العرب بأن أباهم لم يكن

[1] –ابن عاشور: ينظر التحرير والتنوير، 6/44–48

[2] –الصادقي، محمد الطهراني، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، 7/361–366،انتشارات فرهنك اسلامي– دار التراث الاسلامي للطباعة والتوزيع، 1406هـ.

[3]–سيد قطب: في ظلال القرآن، 8/7

مشركاً ولا مُقراً للشرك في قومه، وأعظم حجة للرسول(صلى الله عليه وسلم) إذ جاءهم بالإقلاع عن الشرك . فهذه مناظرة لقومه واستدراج لهم ، وأنه كان موقناً بنفي إلهيتها وهو المناسب لصفة النبؤة أن يكون أوحى إليه ببطلان الإشراك وبالحجج التي احتج بها على قومه .[1]

كما ذكر سيد قطب: بعدئذ بعرض السياق شجرة النبوة التي امتدت فروعها من إبراهيم. من عقيدته في التوحيد ومن صلبه في الذرية. يعرض السياق هذه الشجرة ممتدة متفرعة ولا يراعي التسلسل التاريخي في فروعها كما أن العين حيث تأخذ الشجرة تأخذها بفروعها لا على الترتيب. وهكذا نجد القصص القرآني يُساق بقدر في موضعه المناسب من السياق ليؤدي دوراً معيناً فيه ويتسق مع ما سبقه منه وما يليه.[2]

قال ابن عاشور: عن ذكر اسماء الرسل والأنبياء"أن هذه الآية تتعلق بمسألة مهمة من مسائل أصول الدين. وهي ثبوت نبؤة الذين جرى ذكر أسمائهم فيها وما يترتب على ثبوت ذلك من أحكام في الإيمان وحق النبؤة ، فثبوت النبؤة لهم أمر مقرر بقوله تعالى:{ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} ويدل على ذلك اسم الإشارة {اؤلئك} قريب من النص في عودهِ إلى جميع المسمَّين قبله مع مايعضده ويكمله من النص بنبؤة بعضهم في آيات تماثل هذه الآية.[3]

سياق موعظة المعرضين

لقد تعرض القرآن للمعرضين عن آيات القرآن والمكذبين بالدين الحق وتهديدهم بأن يحل بهم ماحلّ بالقرون المكذبين من قبلهم.[4] قوله تعالى: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (4) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (6)}.

أفاد سيد قطب: بأنّ السياق الآن يقرر- بعد وضوح القضية- أن هؤلاء القوم مصرون على الإعراض، فما يمكن أن يؤمنوا بآية من آيات الله على الإطلاق، ومن ثم يلمس قلوب المكذبين المعاندين بالتهديد فلا يحدد زمان ولا مكان لأن الموقف موقف التهويل بالتعميم والتجهيل سيأتيهم في وقت لا يملكون فيه الأستهزاء، ولا يستطيعون فيه السخرية ويمضي السياق ليذكرهم بلمس وجدانهم بعبرة حيّة من آيات القدرة فيمن قبلهم من القرون. فلم تنفعهم قوتهم و لا مالهم و لا جاههم. ويستمر السياق برسم نموذجاً عجيباً للمكابرة المتبجحة والعناد.[5]

أيضاً أشار عبدالله شحاته: أن السورة بينت موقف المكذبين من الرسالة وبينت أن التكذيب سنة قديمة. فعلى الرسول أن يصبر ويصابر حتى لا يضيق صدره بتكذيبهم إياه، ولا ييأس من هدايتهم. وبينت السورة حسن عاقبة المرسلين وسوء عاقبة المكذبين.[6] قال تعالى: { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ([الأنعام/33، 34] {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ([الأنعام/33، 34] {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ [الأنعام/10]) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}الأنعام 11}

---

[1]-ابن عاشور: التحرير والتنوير،169/6

[2] -ينظر المصدر السابق، 84-85

[3] -ابن عاشور: ينظر التحرير والتنوير،191/6-197

[4] -ابن عاشور: التحرير والتنوير،

[5] -سيد قطب: ينظر في ظلال القرآن،7/ 44-46

[6] -عبدالله محمد شحاته: أهداف كل سورة ومقاصدها، 89

كذلك قال الطباطبائي: الآيات إشارة إلى تكذيبهم الحق الذي أرسل به الرسول و تماديهم في تكذيب الحق و الاستهزاء بآيات الله سبحانه ثم موعظة لهم و تخويف و إنذار، و جواب عن بعض ما لغوا به في إنكار الحق الصريح. قوله تعالى: "و ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين" إشارة إلى أن سجية الاستكبار رسخت في نفوسهم فأنتجت فيهم الإعراض عن الآيات الدالة على الحق فلا يلتفتون إلى آية من الآيات من غير تفاوت بين آية و آية لأنهم كذبوا بالأصل المقصود الذي هو الحق، و هو قوله تعالى: "فقد كذبوا بالحق لما جاءهم".[1]

أما ابن عاشور فقال: "هذا انتقال إلى كفران المشركين في تكذيبهم رسالة محمد(صلى الله عليه وسلم) بعد أن أقيمت عليهم الحجّة ببطلان كفرهم في أمر الشرك بالله في الإلهية، وقد عطف لأن الأمرين من أحوال كفرهم ولأن الذي حملهم على تكذيب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) هو دعوته إياهم إلى التوحيد، فمن أجله نشأ النزاع بينهم وبينه فكذبوه وسألوه الآيات على صدقه ، وأصل الإعراض صرف الوجه عن النظر في الشيء وهو هنا مجاز في إباء المعرفة، فيشمل المعنى الحقيقي بالنسبة إلى الآيات المبصرات كانشقاق القمر، ويشمل ترك الاستماع للقرآن، ويشمل المكابرة عن الاعتراف باعجازه وكونه حقاً بالنسبة للذين يستمعون القرآن ويكابرونه."[2]

قوله تعالى: "فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون" قال الطباطبائي: تخويف و إنذار فإن الذي يستهزءون به حق، و الحق يأبى إلا أن يظهر يوماً و يخرج من حد النبإ إلى حد العيان و من المعلوم أن الحق إذا ظهر لم يستوٍ في مساسه المؤمن و الكافر، و الخاضع و المستهزىء.

أما ابن عاشور فأفاض: أن حرف التسويف هنا لتأكيد حصول ذلك في المستقبل. فإن القرآن مشتمل على وعيدهم بعذاب الدنيا بالسيف، وعذاب الآخرة. فتلك أنباء أنبأهم بها فكذبوه واستهزؤا به فتوعدهم الله بأن تلك الأنباء سيصيبهم مضمونها.

الاستهزاء مرادف للسخرية في كلام أئمة اللغة، فذكر القرآن في هذه السورة مفردة { استهزئ، أولاً لأنه أشهر وكذلك عبّر (سخروا)، ولما اعيد ثالث مرة رجع إلى فعل(يستهزئون) لأنه أخف من (يسخرون) وهذا من بديع فصاحة القرآن المعجزة. وورد وصف (المكذبين) دون المستهزئين للدلالة على أن التكذيب والاستهزاء كانا خلقين من أخلاقهم، وأن الواحد من هذين الخلقين كافٍ في استحقاق تلك العاقبة. وهذ ردّ جامع لدحض ضلالاتهم الجارية على سنن ضلالات نظرائهم من الأمم السالفة.[3]

و في قوله تعالى: "مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم" قال الطباطبائي: التفات من الغيبة إلى الحضور، و الوجه فيه ظاهرا رفع اللبس من جهة مرجع الضمير فلو لا الالتفات إلى الحضور في قوله: "ما لم نمكن لكم" أوهم السياق رجوعه إلى ما يرجع إليه الضمير في قوله: "مكناهم" و إلا فأصل السياق في مفتتح السورة للغيبة ".[4]

قال محمد الصادقي: ويتصل السياق يحاكي ضمير الانسان بدليل آيات الله تعالى الكامنة في الأنفس. والمكتملة في الآفاق. وذلك خطاب موجه إلى كل الفطر والعقول والحواس والعلوم في كل الحقول على درجاتها، والتذكير بآيات ربهم هو الموجة الغامرة للكون كله بكل الآيات الربانية آفاقية أو أنفسية.[5]

[1] –الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن،7/

[2] –ابن عاشور: التحرير والتنوير،15-17

[3] – المصدر نفسه، ينظر 20-30

[4] –الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، 7/ 8

[5] –الصادقي : ينظر الفرقان في تفسير القرآن، 336/7

سياق تكذيب المشركين بالبعث والجزاء

نخوض في غمار جولة جديدة في مجال العقيدة وهي قضية البعث والنشور: قوله تعالى: {وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ [الأنعام/29]وقد سلكت سورة الأنعام طرقاً شتى في الاستدلال على قضية البعث فقد استدلت عليه بخلق السموات والأرض في مقدمتها العنوانية فمن خلق السموات والأرض بقدرته فهو قادر على إحياء الموتى وإعادة خلق الانسان فخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وقد كررت هذه الحقيقة وأكدت في آياتها بصور شتى فذكرت أن البعث حق وأن الله بيده الخلق والأمر والبدء الإعادة والحساب والجزاء.[1]

قال تعالى: {لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ [الأنعام/12] وقال سبحانه: { ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [الأنعام/164] وقوله تعالى: {وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ [الأنعام/36] فسر سيد قطب ذلك: يذكر مقولتهم الدالة على الإنكار حتى يبادر بالرد في مشهد من مشاهد القيامة مشهد حي مؤثر يفعل فعله في أعماق المشاعر، ويلمس القلب البشري لمسة تنتفض لها القلوب.[2]

وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الأدلة في قضية البعث والجزاء واستدل عليها بمنها أن الحكمة والعدل يقضيان بالحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه كما يقضيان بأن ينال المحسن إحسانه والمسيء إساءته حتى يطهر المسيء من دنس النفس ويكون أهلاً لرحمة الله الكاملة. وهذان أمران مهمان اذ كثير ما يرتحل الناس من الدنيا دون أن يمهل طريق النقاء لمن دنس نفسه، ودون أن يعرفوا الحق فيما اختلفوا فيه وإذن فلا بد من دار أخرى يلقى الإنسان فيها الجزاء أمام حاكم عادل خبير بكل ما قدم الإنسان.[3]

وفي القرآن الكريم آيات عديدة تؤكد هذا المعنى قال تعالى: {ا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [الأنعام/32] هنا يأتي التقرير الأخير يزن الدنيا ويزن الآخرة فإذا الحياة الدنيا في هذا الميزان دار لهو ولعب، وإذا الدار الآخرة خير. خير لمن؟ خير للذين يتقون. (أفلا تعقلون) هنا تأتي الحاجة إلى التعقل للموازنة والاختيار الأخير.[4]

كذلك أفاد محمد الصادقي: ترى الحياة الدنيا- وهي مدرسة الصالحين ومبعثة المرسلين- هي فقط- لعب ولهو- ، فأين يحصل إذاً ثواب الله يوم الآخرة لولا الحياة الدنيا؟ هذه الدنيا لها واجهتان اثنتان: دنيا دنية هي للذين رضوا بالحياة واطمأنوا بها ، ودنيا عالية هي للمطمئنة نفوسهم بالله، فالدنيا لهم مدرسة ومكرسة ومزرعة للآخرة فالمؤمن دنياه آخرة لأنها مزرعة الآخرة ، والكافر آخرته دنيا لأن دنياه مزرعة الآخرة، فالدنيا إذاً محظورة ومحبورة من أبصر بها أبصرته ومن أبصر إليها أعمته.[5] وأيضاً ذكر الجزاء بأحلى صورة بقوله تعالى:{ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}الأنعام160] فضاعف الحسنات لهم ترغيباً لهم وكذلك لم يحاسبهم على السيئة إلا بمثلها.

وعرضت سورة الأنعام لشأن البعث باعتباره أمراً كائناً ليس موضع إنكار ولا محلاً لريب وصورت فيه مواقف المشركين وما سيكون عليه في ذلك اليوم كأنهم حاضرون معروضون أما الناس يتأملهم الإنسان ويرى فعلهم وقولهم.

قال تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ [الأنعام/22-24] { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

[1] -د.عبدالله محمد شحاته: أهداف كل سورة ومقاصدها،85

[2] -سيد قطب: في ظلال القرآن، 7/ 54

[3] -عبدالله محمد شحاته: ينظر أهداف كل سورة ومقاصدها، 87

[4] -سيد قطب: ينظر في ظلال القرآن،7/89.

[5] -الصادقي: ينظر الفرقان في تفسير القرآن، 7/393-394

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94) [الأنعام/94] {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام/38] {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الأنعام/60] إلى غير ذلك من الأدلة ما تضمنته سورة الانعام من الوصف العيني لمظاهر البعث الذي يأخذ القلب وينير الوجدان.

سياق الوصايا

افتتح المربع الأخير من سورة الأنعام بالدعوة إلى عشر وصايا وهي الأساس الذي يصلح عليه أمر الناس فالمجتمع الذي يقوم على إيثار الله على كل ما سواه هو المجتمع الفاضل المثالي السعيد.

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشرِكُوا بِهِ شيْئاً وَ بِالْوَلِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلَدَكم مِّنْ إِمْلَقٍ نحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَوَحِش مَا ظهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطنَ وَ لا تَقْتُلُوا النّفْس الّتى حَرّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقّ ذَلِكُمْ وَصاكُم بِهِ لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالّتى هِىَ أَحْسنُ حَتى يَبْلُغَ أَشدّهُ وَ أَوْفُوا الْكيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسطِ لا نُكلّف نَفْساً إِلا وُسعَهَا وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذَا قُرْبى وَ بِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصاكُم بِهِ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ﴾ [الأنعام: 152]

فسر الطباطبائي: تبين الآيات المحرمات العامة التي لا تختص بشريعة من الشرائع الإلهية، و هي الشرك بالله، و ترك الإحسان بالوالدين، و اقتراف الفواحش، و قتل النفس المحترمة بغير حق و يدخل فيه قتل الأولاد خشية إملاق و اقتراب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن و عدم إيفاء الكيل و الميزان بالقسط، و الظلم في القول، و عدم الوفاء بعهد الله، و اتباع غير سبيل الله المؤدي إلى الاختلاف في الدين. و من ألطف الإشارة التعبير عما أوتي نوح و إبراهيم و موسى و عيسى (عليهما السلام) بالتوصية ثم التعبير في هذه الآيات الثلاث التي تقص أصول المحرمات الإلهية أيضا بالتوصية حيث قال سبحانه: "ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون" "ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون" "ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون" و من شواهد أنها شرائع عامة أنا نجدها فيما نقله الله سبحانه من خطابات الأنبياء أممهم في تبليغاتهم الدينية.[1]

كذلك ذكرسيد قطب: هذه الوصايا قوام حياة الضمير وقوام حياة الأسرة، وقوام حياة المجتمع، وقوام حياة الإنسانية. مجموعة كلها في آيتين اثنيتين من ذلك الدستور الإلهي الخالد الذي يرسم للناس منهج الحياة في كل اتجاه. لكن قبل ذلك نلمح القاعدة التي تقوم عليها جميعاً ، وهي قاعدة العقيدة الخالصة في الله، عقيدة التوحيد المطلق، التي يقوم عليها ذلك الدستور كله، ويقوم عليها الحياة.[2]

وأيضاً سيد قطب قال: بدأ الحوار بدعوتهم إلى سماع ما حرم الله عليهم حقيقة وأصلاً . ولكنه يذكر واجبات إيجابية مفروضة بجانب المحرمات التي يتلوها، بل يذكر أصول العقيدة الإسلامية ومعظم الحدود والمعاملات .. بدأها تنسيقاً مع جو السياق وتعبيراته، ثم ليأخذهم من المحرمات إلى الفرائض ممتزجا بعضها ببعض وهذه وتلك قوام هذا النظام. ثم ينتهي بإيقاعات عميقة على أوتار العقيدة —موضوع السورة– يصل بعضها في الحلاوة والنداوة أن تكون أنشودة رخية مرفرفة في صور تسبيحة روحية علوية. ذلك مع الوعد والوعيد؛ ومع اللمسات الوجدانية التي تحرك القلوب ذلك ليحسم ما بينهم وبين الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) من جدل وليردهم إلى الأصول التي إن اتفقوا عليها اجتنبوا سائر المخالفات وسائر الضلالات. [3]

[1] الطباطبائي: تفسير الميزان،208/7

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن،37/8

[3] المصدر نفسه،37

قال الطباطبائي: أن التأمل فيها يعطي أن الدين الإلهي لا يتم أمره و لا يستقيم حاله بدون شيء منها و إن بلغ من الإجمال و البساطة ما بلغ و بلغ الإنسان المنتحل به من السذاجة ما بلغ. و الذي يعطيه سياق الآيات أن يكون مضمون هذه الآية أحد الوصايا التي أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتلوها عليهم و يخبرهم بها. ثم أكد سبحانه حكمه في الآية بقوله: "ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون".

و قد اختلفت الخواتيم في الآيات الثلاث فختمت الآية الأولى بقوله: "ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون" و الثانية بقوله: "ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون" و الثالثة بقوله: "ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون".

و لعل الوجه في ذلك أن الأمور المذكورة في الآية الأولى و هي الشرك بالله العظيم و عقوق الوالدين و قتل الأولاد من إملاق و قربان الفواحش الشنيعة و قتل النفس المحترمة من غير حق مما تدرك الفطرة الإنسانية حرمتها في بادىء نظرها و لا يجترىء عليها الإنسان الذي يتميز من سائر الحيوان بالعقل إلا إذا اتبع الأهواء و أحاطت به العواطف المظلمة التي تضرب بحجاب ثخين دون العقل.

فمجرد الاعتصام بعصمة العقل في الجملة و الخروج عن خالصة الأهواء يكشف للإنسان عن حرمتها و شآمتها على الإنسان بما هو إنسان، ولذلك ختمت بقوله: "ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون".

وما ذكر منها في الآية الثانية و هي الاجتناب عن مال اليتيم، و إيفاء الكيل و الميزان بالقسط، و العدل في القول، و الوفاء بعهد الله أمور ليست بمثابة ما تليت في الآية الأولى من الظهور بل يحتاج الإنسان مع تعبيه بالعقل في إدراك حالها إلى التذكر و هو الرجوع إلى المصالح و المفاسد العامة المعلومة عند العقل الفطري حتى يدرك ما فيها من المفاسد الهادمة لبنيان مجتمعه المشرفة به و بسائر بني نوعه إلى التهلكة فما ذا يبقى من الخير في مجتمع إنساني لا يرحم فيه الصغير و الضعيف، و يطفف فيه الكيل و الوزن، و لا يعدل فيه في الحكم و القضاء، و لا يصغى فيه إلى كلمة الحق، و لهذه النكتة ختمت الآية بقوله: "ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون".

و الغرض المسوق له الآية الثالثة هو النهي عن التفرق و الاختلاف في الدين باتباع سبل غير سبيل الله، و اتباع هاتيك السبل من شأنه أن التقوى الديني لا يتم إلا بالاجتناب عنه.[1]

أشار سيد قطب: هذه الوصايا تتم على طريقة القرآن في التعقيب على التكاليف بربط القلب البشري بالله سبحانه وهنا توصية من الله والتوصية فيها معنى الأمر ولكنه الأمر اللطيف المؤدي إلى الخير، وتنبيه للتعقل وبناء الأخذ والترك على أساس معقول لا على الطريق التي هم فيها سادرون. ثم أن هناك مجانسة بين أفراد القسم الأول من هذه النواهي والتكاليف المتعلق بالنفس والعرض وهما قريبان، ومجانسة مثلها بين أفراد القسم الثاني المتعلق بالأموال والأقضية والمعاهدات وهي كلها من وادٍ. وهذه القواعد الأساسية الواضحة التي تكاد تلخص العقيدة الإسلامية وشريعتها الاجتماعية. هذه هي صراط الله المستقيم المؤدي إليه، وماعدا ذلك فهو سبل متعرجة ملتوية متفرقة لا تؤدي إلا إلى الضلال.[2]

وبذلك فأنّ جميع هذه الوصايا، أو القواعد الأساسية تمثل الصراط المستقيم الذي قام عليه دين الله سبحانه، وجاء بها الإسلام مصدقاً للديانات قبله جامعاً بين صحة العقيدة في الله وسلامة القوانين الموضوعة للحياة، وكلتاهما متصلة بالأخرى فلا يمكن الفصل بينهما. ولذلك يجيء التعقيب بقوله تعالى:{ ذَلِكُمْ وَصاكُم بِهِ لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ} فهي التقوى مراقبة الله والتوجه إليه وحده دون سواه والوقاية من الزلل والضعف والضلال. وهذه الوصايا هي الجامعة لكل ما جاءت به دعوة الحق فهي تدعو الى السير على طريق الله وأوامره والابتعاد عن طرق الشيطان فطريق الله سبيل النجاح في الدنيا والآخرة قوله تعالى {اهدنا الصراط المستقيم}

[1] الطباطبائي - (ج 7 / ص 211)

[2] سيد قطب: ينظر في ظلال القرآن،8/42-44

الخاتمة:

يدمج السياق القرآني في سورة الأنعام الإيمان والتاريخ والشريعة في كلٍّ موضوعيٍّ مترابط، مُظهرًا البنية المنهجية للخطاب القرآني في السور المكية. تخاطب هذه السورة العقل والوجدان، وتستقي الأدلة من الكون والتاريخ والشريعة لتُظهر عظمة الخالق ووحدانيته. يصفها الزركشي ببراعة بأنها "من السور التي نزلت لترسيخ مبادئ التوحيد ومقاصد الرسالة". وبالتالي، يُمكن القول إن السياق القرآني في سورة الأنعام يُشكل نموذجًا شاملًا للهداية الإلهية، يجمع بين الحجة العقلية والهداية الإيمانية، بهدف ترسيخ الوعي بالتوحيد الذي هو أساس الرسالة القرآنية.

النتائج و التوصيات

أولًا: السياق العقدي: يبدأ السياق القرآني لهذه السورة بإظهار عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وإثبات قدرته ووحدانيته، كما قال تعالى: {الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور} (الأنعام: 1). أن هذه الافتتاحية تُمهد الطريق لنبذ المعتقدات الوثنية، وإقامة إطار معرفي قائم على الأدلة العقلية لفهم التوحيد (. ويهدف السياق العقائدي لهذه السورة إلى إثبات أن الله هو الإله الحق، من خلال لفت الانتباه إلى مظاهر الكون التي تدل على الخلق والكمال، ورفض فكرة الشرك بادعاء الآلهة.

ثانيًا: السياق التاريخي والنبوي

يُبرز السياق القرآني لهذه السورة الرسالة الإلهية ووحدة مصدرها، مُقدّمًا أمثلةً من قصص الأنبياء، كإبراهيم ونوح وموسى (عليهم السلام)، للتأكيد على أن جميع الرسل جاءوا بدعوة واحدة إلى التوحيد و لهذا البعد التاريخي وظيفةً تربوية، وهي تقوية النبي (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين في وجه رفض المشركين.

ثالثًا: السياق التشريعي والاجتماعي

في نهاية السورة، ينتقل السياق إلى مناقشة سلوكيات المشركين المنحرفة وأحكامهم، وخاصةً توزيعهم للأنعام والأضاحي دون إذن الله، كما جاء في قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ نَصِيبًا مِمَّا خَلَقَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ} (الأنعام: ١٣٦). و تم ذكر عشر وصايا تعتبر دستور إلهي لتحقيق ما نزلت به الرسالة.

المصادر والمراجع

إبراهيم ،فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، طبع التعاضيدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط، 1986.

ابن‌القيم، الجوزية شمس‌الدين محمد الدين الحنبلي، الأمثال في القرآن الكريم، ت756هـ، تحقيق: فواز أحمد، دار ابن‌حزم.

ابن‌تيمية، تقي الدين أحمد الحراني، مجموع الفتاوي، ت 728هـ، دار الوفاءو دار ابن‌حزم.

ابن‌عاشور، الطاهربن محمدبن محمد التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (االتحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984.

ابن‌منظور، جمال الدين محمدبن مكرمبن علي الإغريقي، لسان العرب، ت711، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2005.

أبو شهبة ،محمد بن محمد ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، ط2، 1992

الأزهري، أبومنصور محمدبن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 2001.

براون و بول، تحليل الخطاب،ترجمة محمد لطفي الزليطي و منير التريكي، ط1، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، السعودية، 1997.

البعلبكي، رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت.

البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

بودرع، عبد الرحمن، منهج السياق في فهم النص،بحث منشور في مجلة القلم، العدد 55.

جون، دي بوا، قاموس اللسانيات، ترجمة: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس.

الجوهري،أبو نصر إسماعل بن حماد، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية،ت393هـ، دار العلم للملايين، ط4، 1987م.

الخولي، محمد علي، علم اللغة النظري،156، مكتبة لبنان، 1999.

الربيع عبد الرؤوف حسن: ينظر بحث السياق و دوره في تفسير القرآن، مجلة القلم العدد 54.

روبرت ،دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1،دار الكتبي،1994م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله، لبرهان في علوم القرآن،ت794،ت:محمد أبو الفضل إبراهيم،ط 1،دار إحياء الكتب العربية، بيروت،1957.

الزمخشري، أبوالقاسم محمودبن عمروبن أحمد جار الله، أساس البلاغة، ت 538، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.

سيد قطب، أبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القرآن، ت 1966، دار الشروق، 1978.

الشاطبي، إبراهيمبن موسى، الموافقات، ت790هـ،1 تقديم: بكربن عبدالله‌بن زيد، دار ابن‌عفان.

الشنقيطي، محمد الأمينبن محمد المختاربن عبدالقادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ت 1393، مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

الصاحب ، إسماعيل بن عباد،ت385هـ ، المحيط في اللغة،ت محمد حسين آل ياسين، ط1، عالم الكتب ،بيروت،1994م.

الصادقي، محمد الطهراني، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، انتشارات فرهنك اسلامي- دار التراث الاسلامي للطباعة والتوزيع، 1406هـ.

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ أياد باقر سلمان، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2006.

عارف، هنديجاني فرد، دلالة السياق في تفسير الطباطبائي، المرجع الألكتروني للمعلوماتية، 2020/11/10.

عبد الرؤوف ،حسن الربيع: ينظر بحث السياق ودوره في تفسير القرآن، مجلة رسالة القلم. العدد54

الفيروز أبادي، مجي الدينبن محمدبن يعقوب، القاموس المحيط، ، دار الفكر، بيروت، 1403.

محمد، الربيعة، علم السياق القرآني(مفهوم السياق عند العلماء)، 2007/1/18، دار ومكتبة الهلال، بيروت/ لبنان، ط1، 1990.